عن سائر الحيوان وكذلك بناء بنيته فان نموه واغتذاءه وان كان بينه وبين النبات قدر مشترك
فليس مثله إذ هذا يغتذي بما يلذ به ويسر نفسه وينمى بنموحسه وحركته وهمه وحزنه
وليس النبات كذلك وكذلك اصناف النوع وأفراده فنطق العرب بتمييز قلوبهم وبيان
السنتهم أكمل من نطق غيرهم حتى يكون فى بنى آدم من هو دون البهائم فى النطق والتمييز
ومنهم من لا يدرك نهايته وهذا كله يبين ان اشتراك افراد الصنف واصناف النوع وأنواع
الجنس والاجناس السافلة فى مسمى الجنس الاعلى لا يقتضى ان يكون المعنى المشترك فيها
بالسواء كما انه ليس فى الحقائق الخارجة شيء مشترك ولكن الذهن فهم معنى يوجد فى هذا
ويوجد نظيره فى هذا وقد تبين انه ليس مناظراً على وجه المماثلة لكن على وجه المشابهة
وان ذلك المعنى المشترك هو فى احدهما على حقيقة تخالف حقيقة الآخر ومن هنا يغلط ء
القياسيون الذين يلحظون المعنى المشترك الجامع دون الفارق المميز والعرب من الأصناف
والمسلمون من أهل الاديان اعظم الناس ادراكا للفروق وتمييزاً للمشتركات وذلك يوجد
فى عقولهم ولغاتهم وعلومهم واحكامهم ولهذا لما ناظر متكلموا الاسلام العرب لهؤلاء
المتكلمة الصابئة عجم الروم وذكروا فضل منطقهم وكلامهم على منطق اولئك وكلامهم
ظهر رجحان كلام الاسلاميين كما فعله القاضى ابو بكر بن الباقلانى فى كتاب الدقائق الذي
رد فيه على الفلاسفة كثيراً من مذاهبهم الفاسدة فى الافلاك والنجوم والعقول والنفوس
وواجب الوجود وغير ذلك وتكلم على منطقهم وتقسيمهم الموجودات كتقسيمهم الموجود
الى الجوهر والعرض ثم تقسيمهم الاعراض الى المقولات التسعه وذكر تقسيم متكلمة
المسلمين الذي فيه من التمييز والجمع والفرق ما ليس فى كلام أولئك وذلك أن الله علم
الانسان البيان كما قال تعالى (الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان) الآية
وقال تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها) وقال (علم الانسان مالم يعلم) والبيان بيان
القلب واللسان كما ان العي والبكم يكون بالقلب واللسان كما قال تعالى (صم بكم عمي فهم
لا يرجعون) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «هلا سألوا اذ لم يعلموا انما شفاء العي

السؤال» وفى الاثر العي عي القلب لا عي اللسان أو قال شر العي عي القلب وكان ابن مسعود
يقول انكم فى زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه ~~وتبيين الاشياء للقلب~~ وسيأتى عليكم زمان
قليل فقهاؤه كثير خطباؤه وتبيين الاشياء للقلب ضد اشتباهها عليه كما قال
صلى الله عليه وسلم «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات» الحديث وقد
قرئ قوله (ولتستبين سبيل المجرمين) بالرفع والنصب أي ولتستبين أنت سبيلهم
فالانسان يستبين الاشياء وهم يقولون فبين الشيء وبينته وتبين الشيء وتبينته
واستبان الشيء واستبنته كل هذا يستعمل لازما ومتعديا ومنه قوله تعالى (ان
جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) هنا هو متعد ومنه قوله (بفاحشة مبينة) أى متبينة
فهنا لازم والبيان كالكلام يكون مصدر بان الشيء بيانا ويكون اسم مصدر لبين ء
كالكلام والسلام لسلم وبين .. فيكون البيان بمعنى تبين الشيء ويكون بمعنى بينت
الشيء أى أوضحته وهذا هو الغالب عليه ومنه قوله «ان من البيان سحرا» والمقصود
ببيان الكلام حصول البيان لقلب المستمع حتى يتبين له الشيء ويستبين كما قال تعالى
(هذا بيان للناس) الآية ومع هذا فالذي لا يستبين له كما قال تعالى (قل هو للذين آمنوا
هدى وشفاء) الآية وقال (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) الآية
وقال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) وقال (وما على الرسول الا
البلاغ المبين) وقال (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون)
وقال (يبين الله لكم ان تضلوا) وقال (قل اني على بينة من ربي) الآية وقال (أفمن
كان على بينة من ربه) وقال (لقد أنزلنا آيات بينات) وقال (يبين الله الآيات لقوم يعقلون)
فاما الاشياء المعلومة التى ليس فى زيادة وصفها الا كثرة كلام وتفيهق وتشدق
وتكبر والافصاح بذكر الاشياء التى يستقبح ذكرها فهذا مما نهى عنه كما جاء فى الحديث[1]
«ان الله يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل بلسانه كما تتخلل الباقرة بلسانها» وفى
الحديث «الحياء والعي شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق»[2] ولهذا

[1] اخرجه الامام احمد وابو داود فى الادب من سننه والترمذى فى الاستئذان من جامعه من حديث عبد الله بن عمرو وقال الترمذى حسن غريب.

[2] اخرجه الامام احمد فى مسنده والترمذى فى البر والصلة من جامعه من حديث ابى أمامة وقال حسن غريب انما نعرفه من حديث ابى غسان محمد بن مطرف ورواه الحاكم فى مستدركه وصححه واقره الذهبى
وكتبه سليمان الصنيع

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)